مجلة مداد الآداب

مستقبل الهوية الفلسطينية في ظل ثنائية الاحتلال والمقاومة

أ. د. اسراء شريف جيجان
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات
&
أ. م. د. عمر كامل حسن
جامعة الانبار - كلية التربية

المقدمة

تسعى هذه الدراسة الى تقديم مقاربة نقدية تحليلية لواقع ومستقبل الهوية الفلسطينية في ظل الجدل المستمر حول حيثيات تبلور الهوية الفلسطينية الذي يعد محور الهوية العربية لانها تتعلق بشعب مشتت من دون دولة سلب حقه في الارض والوجود.

ان الهوية الفلسطينية لم تأت كردة فعل على تقدم المشروع الصهيوني الاستيطاني بل هي هوية اصلية لأنها تعبر عن وجود الشعب الفلسطيني وضرورة استمراره في الدفاع عن حقه بتجسيد حقوقه التاريخية على ارض فلسطين وممارسة سيادته على تلك الارض.

لا ريب ان الهوية الفلسطينية واحدة من اكثر الهويات المثيرة للتفاعل كونها نمت عبر الضدية المباشرة مع الصهيونية وانها تعايشت مع خطوط التماس ولدت مع فوهة التحديات على الارض وتعرضت لاهتزازات لم تتعرض لها غيرها مع الهويات الاخرى فمنذ النكبة عام ١٩٤٨م ومروراً بمرحلة المقاومة توزعت الهوية الفلسطينية على عدة امكنة وعانت من التهميش والاقصاء في اماكن اخرى ومرت ككل الهويات بمراحل جمود وتجدد وسط تعرض لامتناهي للقساوة والفتك وفي هذا البحث سوف نتناول موضوع مستقبل الهوية الفلسطينية في ظل ثنائية الاحتلال والمقاومة في اربعة مباحث.

تضمن المبحث الاول الهوية كأحد المجالات المصاحبة للصراع، اما المبحث الثاني فقد تأطر بعنونا الهويتان الفلسطينية والاسرائيلية المضامين الفكرية – الابعاد – العناصر واما المبحث الثالث فقد كان بعنوان الاحتلال الاسرائيلي ومحاولات اجتثاث الهوية الوطنية الفلسطينية واخيراً المبحث الرابع فقد تضمن المقاومة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية.

المبحث الاول

الهوية – كأحد المجالات المصاحبة للصراع

اولا: ماهية الهوية

يتحدد مفهوم الهوية بناء على الدلالة اللغوية والفلسفة والسوسيولوجية والتاريخية ويقابل مصطلح (الهوية) العربي، كلمة (Identite) و (Identity) في الفرنسية والانكليزية، وهو من اصل لاتيني ويعني: الشيء نفسه، او الشيء، الذي ماهو عليه، اي ان الشيء،له الطبيعة نفسها التي للشيء الاخر، كما يعني هذا المصطلح في اللغة الفرنسية: مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ماهو عينه شخص معروف او متعين[١].

ويعد (غرودباك) (Grodbeck) اول من استخدم: (soi) و (id) كمصطلح في التحليل النفسي ليدل به على امر غير شخصي في الطبيعة الانسانية، وفي تراثنا الفكري تعريفات كثيرة للهوية، اذ عرفها (الفارابي) بهوية الشيء: عينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه اشراك)، وعند ابن رشد تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود[٢].

ويقتبس (عبد اللطيف المتدين) تعريف (الجرجاني) للهوية: بانها تدل على الخصائص الذاتية التي تميز شخصا او مجموعة من الاشخاص من غيرهم[٣].

ويحدد (د.علي الدين هلال) مستويات متعددة للهوية، حيث يقول: "ينبغي التمييز بين ثلاثة مستويات مختلفة عند تحليل موضوع الهوية:

اولا: الهوية على المستوى الفردي، اي شعور الشخص بالانتماء الى جماعة او اطار انساني اكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية.

ثانيا: التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات واحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري.

ثالثا: حال تبلور وتجسد هذه الهوية في مؤسسات وابنية واشكالية قانونية على يد الحكومة والانظمة[٤].

ويستفاد من هذا التميز الذي ذكره الباحث علي الدين هلال براي الباحث (عفيف البوني): ان الهوية قد تبرز باشكال وصيغ عدة تبعا للظروف المؤثرة، ابتداء من تعبير الشخص الفرد عنها، وانتهاء بالاشكال التنظيمية الاجتماعية الارقى، من خلال نسق نظامي وقانوني وعقلاني(٥).

ومن حيث التشكل:

يرى الباحث (عبد الغني عماد)، ان الهويات لا تتشكل من العدم او الفراغ، انها حصيلة ديالكتيك اجتماعي وسيرورة انبنائية باحثة عن التجانس والاندماج في اطار الجماعة، وهي ان تنضج وتستكمل تشكلها، وتستقر في الوعي الاجتماعي حاملة السمات الاساسية التي تميز الجماعة عن غيرها، وهي سمات تتحدد ضمن علاقات التماثل والاختلاف وتعكس ارتباط الانسان بالاخرين وتميزه منهم في الوقت نفسه، وهي بقدر ما تكون تعريفا للذات، تكون ايضا تعريفا تستدمجه الذات في علاقتها بالاخر حسب تالكوت بارسونز واستنادا الى اميل دوركهايم وجورج ميد(٦).

ويعزز ذلك الراي الباحث (باقر سلمان النجار) بقوله: ان هوية الافراد لا تتشكل فقط من العناصر والبيانات المتضمنة فيما يسميه امين معلوف (بطاقة الهوية)، بل انها تمتد لتشمل الدين والمذهب والطائفة والجنسية، واللغة والعائلة والجماعة الاثنية و الجماعة القبلية، والمحيط الاجتماعي والمحيط السكني، الحي او القرية او البادية او المدينة (وقد تشمل ذلك احيانا الفريق الرياضي او الجماعة المهنية، او الجماعة السياسية)، كما يقول معلوف، ان هذه الانتماءات لا تكسب بديهيا الاهمية الاعلى عند الفرد وبشكل مطلق، الا انها في لحظة الحدث /الاحدث تبرز على السطح معبرة عن ذاتها مقابل الاخر المختلف(٧).

اما من حيث التعبير عن الهوية، فمما لاشك فيه، ان التعبير عن الهوية في اطار الجماعة يكسبها القوة عنها في خارجها، لذا فان التعبير عن الهويات ياخذ في الغالب مسارا جماعيا، سواء اكان ذلك في محاولة المحافظة على نسق القوة القائم ام في الدعوة الى تغييره، وفق هذا المعنى، الهوية لا تعبر عن نفسها الا في اطار الجماعة، من هنا يات الفرد يعرف او يعرف من خلاله، وتعبير الجماعة عن هويتها قد لا يلامس تعبير الاخر عن هويته في اطارها

الثقافي، الا انه قد يلامس تعبيراته السياسية وربما الثقافية، بل ان التعبير الثقافي قد ياتي احيانا معبرا عن رغبتها، رغباتها السياسية في التمييز الثقافي او في رفض التماهي مع الاخر(٨).

من هذا المنطلق تبدو الهوية الثقافية بناء ديناميكيا وعلائقيا مركبا يتشكل في سياقها الوعي او يعاد بناؤه، وهو في الوقت نفسه حصيلة ديالكتيك يتم على ارضية المغايرة، ولذلك تبدو الهوية الثقافية متعددة الارتباطات ومتنوعة الابعاد، تكتسب في الواقع ابعادا رمزية كما تكتسب وضعيات عملانية تعبر عن نفسها بما يسمى (استراتيجيات الهوية)، وهي بالرغم من كونها احد ابرز تعبيرات الانتماء وتعريف الذات، وكانت على الدوام احد المجالات المصاحبة للصراع بين الامم والحظارات الا انها في عصر العولمة اخذت صورا مختلفة، حيث تغير (براد يغم) تشكل الهويات وتغيرت بالتالي معطياتها مع الانفجار الهائل في الإنفوميديا والمعلوماتية، حيث اصبحت اكثر شبكة واكثر فعالية ومرونة واكثر تدفقا(٩).

ثانيا: الهوية والانتماء للتاريخ والجغرافيا:

لا احد يتصور موقعه في المجتمع دون الرجوع الى جذوره السابقة، او دون الرجوع الى تلك التشكيلات الاجتماعية التي منها تشكلت رؤيتنا للانتماء والهوية، فالفرد في اي مجتمع من المجتمعات يرى نفسه منتميا الى جماعة عائلية او قبلية او دينية او طائفية او مناطقية (جغرافية) او جهوية (حضرية – ريفية) معينة اكثر مما يجد نفسه منتميا الى وطن معين، وفق هذا التصور الواقعي نجد الوطن في هذه التشكيلات اكثر مما تشكل هذه التشكيلات الوطن، بحسب ما يعتقده (امين معلوف).

فالفرد في الولايات المتحدة الامريكية لايمكنه تصور موقعه في المجتمع دون الرجوع الى جذوره السابقة، الاسبانية او الايطالية او الصينية او الايرلندية او اللاتينية او الافريقية، ودون ان يرى نفسه بعيدا عن العقائد الدينية كاليهودية او المسيحية، وغيرها(١٠)، ولـ(سعد الدين ابراهيم) رأيا مغايرا يتجسد بقوله (ان مسالة الهوية تنطوي في الاساس على معان فردية وروحية وحضارية جماعية، تعطي الفرد احساسا بالانتماء الى جسم اكبر اي الدولة وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الاكبر(١١).

كلتا الرؤيتين تقودان الى تساؤلان ذا بعدين احدهما تاريخي والاخر جغرافي، حول العلاقة الصميمية بين الهوية وبين التاريخ والجغرافيا.

التساؤل التاريخي فحواه: هل ان التاريخ مشكل للهوية ؟

يرى (د.نديم البيطار) ان: هوية الامة هي هوية تاريخية، والتاريخ هو الذي شكلها[١٢]، وهو يعني – بحسب ما يراه (عفيف البوني) – ان لا وجود لهوية خارج المجتمع والتاريخ، فالامة وحدها تمتلك الهوية، سواء كانت جماعة (صغيرة او كبيرة بشرط تماثل افرادها وانصهارهم في الوجود المجتمعي الجماعي)، واي فرد لايستطيع ان يستقل عن الجماعة (الامة) في هذا الاطار، اي انه في حاجة الى هوية تجمعه مع اخرين، لانه ليس بامكانه ان تكون له هوية وحده، كما انه ليس بامكان اية قوة ان تفرض هوية ما على مجموعة من الناس من دون اختيار حر من طرفهم، والهوية بهذا المعنى مثل (ارض الوطن) بالنسبة الى الشعب او الامة، اي هي ملك مشاع للجميع، ولكن لا يملك احد الحق في التفريط بجزء منها، ولا يصح التنازل عنها[١٣].

ويقدم الباحث (عبد الغني عماد) رايا لا يقل اهمية عن الراي السابق بقوله:ان المفهوم التاريخي اكثر ملائمة لتصور الهوية الثقافية لانه يفضي حسب هول الى اعتبارها موضوع صيرورة (Being) شانه شان الوجود، ويضيف:

انها: اي الهوية – موضوع ينتمي الى المستقبل بقدر ما ينتمي الى الماضي، انها ليست شيئا موجودا متجاوزا او مفارقا للمكان والزمان، او للتاريخ او الثقافة[١٤]، الارتباط الوثيق بين الهوية والتاريخ يؤكده ايضا الباحث (عبد اللطيف المتدين)، بقوله: ان الانتساب الى مجموعة بشرية معينة يرتبط بنوعين من العوامل: الاول: تاريخي اثني، ذات طبيعة موضوعية، والثاني، نفسي شعوري ذات طبيعة شخصية تهم كل فرد على حدة[١٥].

التساؤل الاخر، عما اذا كانت الجغرافيا مشكلة للهوية، ام ان للهوية جغرافيتها التي تعبر عنها باشكال ومستويات مختلفة؟ يمكن القول: بالرغم من كون الجغرافيا عنصرا من عناصر تشكيل الهوية، فقد اصبحت هذه الاخيرة متشكلة من خلالها، وفي ضوء ذلك، نعرف الهويات احيانا في انتسابها الجغرافي، هذا الانتساب الذي تحمل الجغرافيا من خلاله عناصر ذاتية اخرى، فكلنا يعرف مثلا بانتساب المسيحيين الموارنة الى لبنان، والاقباط المسيحيين الى مصر، والعلويين من العرب الى بلاد الشام، والزيدية من الشيعة الى اليمن، والشيعة الاثني عشرية الى العراق والخليج ولبنان، وفرق الاسماعيلية الى نجران جنوب الجزيرة العربية، والاباضية الى

سلطنة عمان وشمال افريقيا، بل اننا احيانا نعرف الجغرافيا بانتماءاتها المذهبية المختلفة، فالاحناف (اي اصحاب المذهب الخنفي) في العراق ومصر، والحنابلة في الجزيرة العربية او في وسطها، والمالكيون في الجزيرة والخليج وشمال افريقيا.. الخ، اي بقدر ما تكون الجغرافيا مشكلة للهوية، فانها في الكثير من الاحايين متشكلة بها، او اننا نعرفها من خلالها[١٦].

اذا تدل الخصائص الثقافية المشتركة بين افراد مجموعة معينة على هويتها التي تعرف بها والتي تظهر من خلال تفاعلات الحياة اليومية بين هؤلاء الافراد على ارض او مكان معين.

اذا هذه الخصائص تنتظم في اطارين عامين كلاهما جغرافي: اطار الدولة التي يتطلب بناؤها وجود شعب او مجموعة كبيرة من الافراد، اطار الامة التي تحتاج في بنائها الى سلطة سياسية توحد بين عناصرها وتضع الحدود التي تعرف بها[١٧].

المبحث الثاني

الهويتان الفلسطينية والاسرائيلية

المضامين الفكرية – الابعاد – العناصر

اولا: الهوية في "اسرائيل ": ازمتها ومضامينها الفكرية:

يعد المجتمع الاسرائيلي مجتمع مهاجرين جاؤوا من اكثر مئة بلد في العالم تتحكم فيهم اصطفافات اجتماعية ومشارب ايديولوجية متناقضة، وعلى نسق هويات قومية قامت اسرائيل بابتكار تقاليد لنفسها في محاولة لصياغة الهوية القومية والصهيونية والتي هيمنت تماما حتى اوائل السبعينيات من القرن العشرين ثم اخذت تتقلص لصالح الانتماء الاثني مقابل الانتماء المدني، وقد برزت ازمة الهوية بالنسبة لليهودية مع عملية العلمنة في بداية القرن الثامن عشر عندما ازاحت حركة "الهاسكلاه" الدين اليهودي من موقعه كمحدد رئيسي لمسالة الانتماء بين اليهود، ومن هنا ظهرت الاشكالية بين التيارات الرئيسية في اليهودية، ثم انتقلت المشكلة باكملها للمجتمع الاسرائيلي الي يعيش تناقضات بين العلمانيين والمتدينيين في تحديد هوية الدولة من جانب بحيث اصبح الشعب المقيم في اسرائيل شعبان لكل منهما هويته ومعتقداته ومفاهيمه الخاصة، ومن الجانب الاخر برزت الهويات المتنافرة لاربع مجموعات رئيسية تعيش في اسرائيل جنبا الى جنب وهي الاشكناز والشرقيين واليهود الروس والعرب الفلسطينيين، وهناك تنافر وتوتر بين تلك المجموعات وكل مجموعة تصر على ابراز هويتها وعاداتها وثقافتها

الخاصة بها[١٨]، ونظرا لان المجال لا يتسع لجرد كل المضامين الفكرية والطروحات النظرية لما تتضمنه الهويات بشقبها (العلماني والديني)، يكتفي البحث بتناول اهمها، لما لها من تاثير في صناعة القرار الاسرائيلي وتوجهات حكوماتها تجاه الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني.

أ. **الهوية الدينية (الاستعلائية):** فحواها: ان للجماعة اليهودية هوية خاصة قوامها التفوق والتميز والاستعلاء على الاخرين، اصحاب هذا الطرح النظري يستندون في رؤيتهم هذه على النصوص الرئيسية اليهودية المقدسة، ولعل ذلك يبدو بوضوح من خلال الايات التي وردت في ما يعرف بـ(العهد القديم) او التوراة، ومنها: "انتم اولاد الرب الهكم، وقد اختاركم الرب لكي تكونوا له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب[١٩]، وايضا قوله: "وواعدك الرب ان تكون له شعبا خاصا، وان تكون شعبا مقدسا لرب إلهك[٢٠]"، والى جانب التوراة يذهب التلمود الى تاكيد ان اليهود افضل البشر واسياد الكون، وجدت هذه النصوص في العصر الحديث التزاما كاملا من قبل الحاخامات الذين حاولوا ان يستندوا عليها للمطالبة بدولة يهودية مستقلة تظم الشعب اليهودي، وذهب اصحاب هذه الهوية الى ابعد من ذلك في تاكيد ان الشعب اليهودي لا يجوز ان يختلط بالاخرين بحكم اختياره الإلهي وصلاحة وقداسته[٢١].

ب. **الهوية اليهودية الدينية – القومية:** يجسد الدعوة الى هذه الهوية الحركات التي تتولى المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهذه الهوية تقوم على اساس مفاده انها تعبر عن انعزالية عن العالم، متبنين شعار: (الشعب الذي سكن وحده)، يستند المنادون بهذه الهوية على عقيدتهم التي هي خليط من التطرف الإلهي للشعب في ارض فلسطين، ويرون بان شعب اسرائيل وارض اسرائيل والتوراة ثالوث لا ينفصم، وعندما يتحقق اندماجها التام سياتي المسيح المخلص، اما الاعتبارات السياسية والامنية فلا مكان لها في افكار هؤلاء المنادون بهذه الهوية، وهذا ما يتبدى في دعوتهم لتهويد الضفة الغربية ثم الشرقية لنهر الاردن، ويرون ان ذلك شرط مسبق لتحرير الشعب اليهودي، لانها مهمة امر بها الرب[٢٢].

ت. **الهوية اليهودية الاسرائيلية:** يجسد الدعوة الى هذه الهوية الاتجاه الديني اليميني في الدولة اليهودية، قوام اعتقادهم بهذه الهوية مبدا هو: والجمع بين مادية الحركة الصهيونية وروحية الديانة اليهودية، يبدو هذا الاعتقاد بوضوح من خلال تشديدهم على:

- ارض فلسطين التاريخية.
- العرق اليهودي.
- الرمزية المتزايدة لعمليات الاضطهاد التي عانى منها اليهود على مر التاريخ، وخاصة في فترة الحكم النازي.

لذا يدعو اصحاب هذه الهوية الحكومات الاسرائيلية الى اتخاذ الاستراتيجية الاتية[٢٣]:

الاولى: تحقيق عملية ترحيل (ترانسفير) كاملة للعرب في المناطق الفلسطينية المحتلة، حفاضا على الطابع اليهودي للدولة.

الثانية: رفض مبدا اعادة الاراضي للفلسطينيين والسوريين.

الثالثة: اتخاذ اجراءات رادعة لمواجهة مشروع دولة فلسطين بين البحر والنهر، اما الاعتبارات السياسية والامنية فلا مكان لها في اعتقاد هؤلاء المنادون بهذه الهوية.

ث. **الهوية اليهودية الدينية الطائفية:** يجسد الدعوة الى هذه الهوية اليهود الغربيون ويطلق عليهم "الاشكناز" وهم الجماعة الاكثر تاثيرا والاكبر عددا، شكلوا الغالبية الساحقة من صناع القرار في اسرائيل واليهود الشرقيون ممن هاجروا من دول افريقيا وآسيا والشرق الاوسط، اطلق عليهم السفارد، ويهود الصابرا ذوي الاصول المختلطة ممن ولد في اسرائيل، وفيما ياتي تاصيل نظري لهوية الجماعات اليهودية المذكورة وتوجهاتها الفكرية والسياسية.

١. **هوية الاشكناز:**

يجسد الدعوة هذه الهوية يهود شرق اوروبا في اسرائيل، بلغ عددهم حتى عام ٢٠٠٨م نحو ٢،٢ مليون نسمة، بما نسبه٣٧،٩% من مجموع اليهود في اسرائيل[٢٤].

الجدير بالذكر، ان النظام السياسي الذي قام في اسرائيل منذ عام ١٩٤٨م، تاسس على النخب الاشكنازية التي حافظت على مواقعها من جيل الى اخر حتى اليوم، على الرغم من انحسار هيمنتها العددية المطلقة في اسرائيل، ينظر جدول (١).

جدول (١)

لــ رؤساء الوزارات في اسرائيل

الاسم	الفترة	الطائفة
دافيد بن غوريون	١٩٤٨-١٩٥٢	اشكنازم
موشيه شاريت	١٩٥٢-١٩٥٥	اشكنازم
ليفي اشكول	١٩٦٣-١٩٦٩	اشكنازم
غولد مائير	١٩٦٩-١٩٧٤	صابرا من اصول اشكنازية
يتحساق رابين	١٩٧٣-١٩٧٧	
	١٩٩٢-١٩٩٥	
مناحيم بيغين	١٩٧٧-١٩٨٣	اشكنازم
يتحساق شامير	١٩٨٣-١٩٨٤	اشكنازم
	١٩٨٤-١٩٨٦	
	١٩٨٦-١٩٩٢	
شمعون بيريز	١٩٨٤-١٩٨٦	صابرا من اصول اشكنازية
بنيامين نتنياهو	١٩٩٦-١٩٩٩	صابرا من اصول اشكنازية
آرييل شارون	٢٠٠١-٢٠٠٦	صابرا من اصول اشكنازية
ايهود اولمرت	٢٠٠٦-٢٠٠٩	اشكنازم

المصدر: هدى شاكر معروف، اتجاهات السياسة الخارجية الاسرائيلية: دراسة مستقبلية، اطروحة دكتــوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد،١٩٩٦،ص٢٠٩.

الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الموقع: www.aljazeera.net

٢. هوية السفارديم:

يجسد الدعوة الى هذه الهوية السفارديم (اليهود الشرقيون) كتيار يبحث عن دور فاعــل داخل الدولة اليهودية الحديثة، بعد ان عاش هذا التيار لاكثر من خمسين عاما مهمشا معــزولا،

نتيجة للسياسات التمييزية التي مارستها القيادات الغربية الاشكنازية على كافة الاصعدة وقد طور اليهود الشرقيون هويتهم السياسية منذ اوائل السبعينيات من القرن العشرين، من خلال انتفاضه الفهود السود وتمرد صناديق الاقتراع عام ١٩٧٧، وصولا الى ظهور (حركة شاس) والتي عبرت عن هوية شرقية بحلة دينية(٢٥).

وفيما يتعلق بتوجهاتها من مسالة الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني وعملية التسوية، فقد عبر الشرقيون، عندما انسحبت حركة شاس عن حكومة رابين ١٩٩٢ وحكومة باراك ١٩٩٩، وتشهد حركة شاس منذ العام ٢٠٠٠ عملية تحول يميني منهجية.

هدفها التماهي مع المناخ القومي الحربي الذي يعيشه مؤيدوا الحركة وانصارها. ومن خلال البحث في سلوك حركة شاس نجد عدم اعتدالها في مسالة السلام، فقد امتنعوا عن التصويت لصالح معاهدة (اوسلو"أ" ١٩٩٣)، واعترضوا على التصويت الى جانب اتفاق (اوسلو "ب" ١٩٩٥)(٢٦).

٣. هوية الصابرا:

يجسد الدعوة الى هذه الهوية يهود الصابرا وهو من مواليد (اسرائيل) ذوي اصول مختلطة شرقية غربية والاكثر تجانسا مع الفئات الاخرى، ويخدم اصطلاح الصابرا مفهوما يروج له الساسة الاسرائيليون، بصدد النجاح في خلق كتلة يهودية موحدة ذات خصائص متجانسة لها مواقفها(٢٧).

يتضح مما تقدم، ان لكل جماعة من هذه الجماعات اليهودية خلفيتها الاجتماعية والثقافية الخاصة بها، والمستمدة من واقع المجتمعات التي عاشوا فيها فترة طويلة، غير ان قمة السلطة السياسية ما تزال محصورة في ايدي"الاشنكاز" بسبب ولادة الحركة الصهيونية بين صفوفهم كرد فعل لما اصابهم من تمييز واضطهاد في اوروبا، يكمل ماتقدم شعورهم بالتفوق الحضاري وارتكازهم على اغلبية اشكنازية عالمية تمدهم بالدعم المالي والسياسي، فضلا عن الدعم المعنوي في حين اكتسب يهود الطوائف الشرقية الفكر الصهيوني اكتسابا(٢٨).

ومن هنا فقد برزت ظاهرة التفوق الاشكنازي لتجعل الطائفة الشرقية في مرتبة ادنى في المجتمع، تعاني اهمالا واضحا، مثل انعدام تمثيل اليهود الشرقيين في المناصب القيادية الاولى

في (الدولة) ولا سيما منصب رئيس الدولة ورئيس الحكومة ووزير الخارجية الا في حالات قليلة.

اذا يلاحظ المتتبع ان المشكلة الطائفية تتحدد حول محورين، اولهما ثقافي آخذ بالتقلص نتيجة للثقافة الصهيونية المشتركة، التي تحاول استيعاب الفوارق الطائفية الثانوية وثانيهما طبقي يعكس الاختلافات الواضحة للطبقات والشرائح الاجتماعية، بحيث يتخذ الهرم الطائفي الشكل التالي:

شكل (١) الهرم الطبقي – الطائفي في اسرائيل

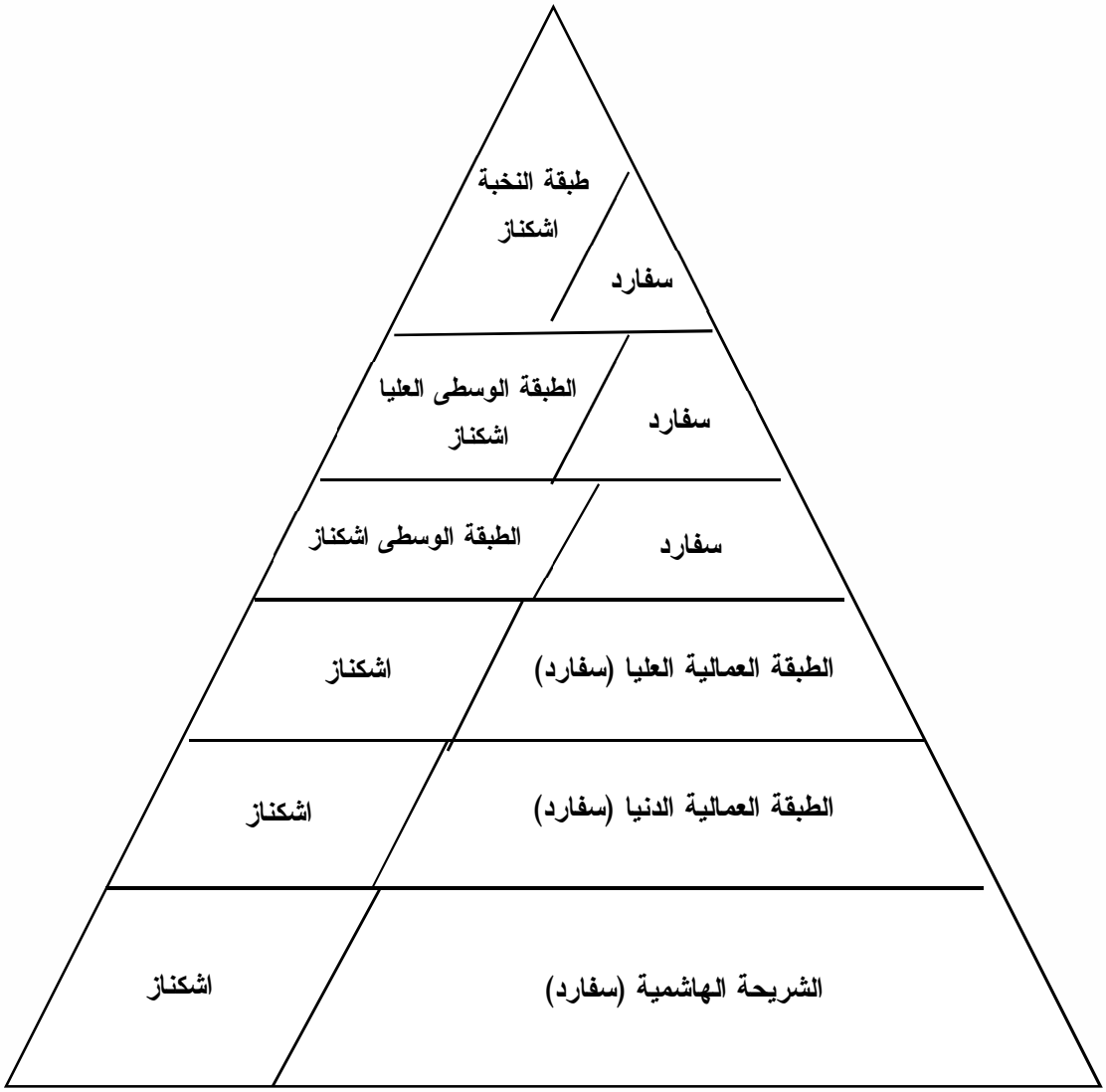

المصدر: هدى شاكري معروف، اتجاهات السياسة الخارجية الاسرائيلية، دراسة مستقبلية، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص٢١١.

ج. **الهوية الصهيونية:** يجسدها رئيس الوزراء الصهيوني الاسبق بن غوريون بقوله: ان يهود العالم يكونون شعبا لا وطنا ولا خلاص له الا بالعودة الى ارض الميعاد، اي بمعنى، ان يهود العالم ويهود اسرائيل يشكلون الشعب اليهودي، الذي هو بنظرهم كيان سياسي وقانوني واحد متكامل، وفق هذا المعنى ان هذه الهوية تؤكد على اعتبار العرق (الجنس) الاساس في التعريف بهذه الهوية العلمانية، وبذلك يرى المنادون بهذه الهوية: ان ثمة هوية قومية متجانسة تفرق بين اليهود وسواهم من اقوام وشعوب في كل زمان ومكان[٢٩].

ح. **الهوية الصهيونية الجديدة:** ونعني بها الهوية التي ينادي بها القوميين المتدينيين، وتمثلها حركة (غوش ايمونيم) والمستوطنون الصهاينة المتدينون، الذين يقطنون الاراضي المحتلة، ومعظم المهاجرين من الغرب وخاصة الولايات المتحدة الامريكية، وقوام طرح هذا التيار للهوية اليهودية هو التاكيد على (ارض اسرائيل) اكثر من (دولة اسرائيل)، كذلك يحرص اصحاب هذه الهوية على فرض الطابع اليهودي، مقابل الطابع الاسرائيلي، وياخذ بالتالي بالهوية الاثنية الدينية في مواجهة الهوية المدنية[٣٠].

ثانيا: الهوية الوطنية الفلسطينية: الابعاد – العناصر – المراحل:

تشكلت هوية الفلسطينين من عدد من الابعاد والعناصر التي اندمجت لتنتج ذات جماعية واحدة، ولكن درجة بروز هذه الابعاد والعناصر اختلفت من فترة الى اخرى، فالهوية الاجتماعية التي تعكس البعد الاجتماعي والتفاعل على مدى اجيال كانت هي الاقوى من الهويات الاخرى، وكان هناك بعد ديني اختلفت قوته من فئة الى اخرى، ومن منطقة الى اخرى، اما البعد الثالث في الهوية، فكان الفلسطيني الذي عكس البعد السياسي الوطني: والبعد الرابع كان الانتماء العربي الذي ينعكس على الثقافة العربية المشتركة مع الشعوب العربية، والذي يبرز فيه عنصر اللغة[٣١].

بعد اقامة "اسرائيل" بدات مرحلة جديدة من صياغة الهوية الجماعية وشحنها بمضامين جديدة ومعان جديدة اذ شكلت المقاومة باشكالها المختلفة، ورفض الاحتلال وتوابعه، والاصرار على اثبات الوجود ومواجهة كافة اشكال الاجتثاث والتغييب، الملمح الاساس المكون للهوية الوطنية، عززتها احيانا ثورات الشعب الفلسطيني وانتفاضاته المتتابعة، واحيانا اخرى تنكمش نسبيا مع تراجع الفعل النظامي لاسباب ذاتية او ظروف اقليمية او دولية ضاغطة، لذلك شكلت

ثورة عام ١٩٣٦ والنكبة عام ١٩٤٨ ثم النكسة ١٩٦٧ وتشكل منظمة التحرير الفلسطينية، والانتفاضة الفلسطينية الاولى والثانية وحالة الصمود والمقاومة في غزة محطات هامة ساهمت في بلورة وتميز الهوية الوطنية والحفاظ عليها، بالرغم ما اصابها من انقسام بسبب الاحتراب الداخلي.

وفقا لما تمت الاشارة اليه، يقدم البحث تحليل للمراحل التي مرت بها الهوية الوطنية الفلسطينية:

المرحلة الاولى: تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية كهوية (مضادة) للاحتلال الصهيوني.

اوجد الاستيطان الصهيوني قبل قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ احساسا عاما لدى الشعب الفلسطيني بتهديد وجودي له، وللأماكن المقدسة التي هي جزء من الهوية الاسلامية ليس للفلسطينيين بل للمسلمين جميعا في العالم، وهو ما دفع الشعب الفلسطيني للثورة عام ١٩٣٦ التي استمرت لثلاث سنوات متتابعة وبعد سنوات حدثت النكبة بقيام الدولة العبرية، التي نتج عنها تشريد مئات الالاف من الفلسطينين، وقد اوجد الشتات الفلسطيني بما تضمنه من الآم ومعاناة وتشرد بعدا اخر للهوية الوطنية هو (هوية اللاجيء) هذا البعد التاريخي او اللحظة التاريخية وصفها (عبد الرحيم الشيخ) بلحظة (صفر الهوية)[٣٢]، حيث يقرا الشيخ تشكل الهوية الفلسطينية عبر قراءة الوجود الفلسطيني المهدد باغتصاب الارض، وتهجير الناس، وكر وحدتهم الثقافية.

هذه القراءة التاريخية تتوافق تماما مع مفهوم (ادوارد سعيد) للهوية، حيث يرى سعيد: "ان بناء الهوية... يتطلب بناء ما يتعارض معها وبناء الاخرين، وهو في الحقيقة موضوع دائم للتفسير واعادة التفسير المستمرين للاختلافات التي تميزهم عنا (نحن) [٣٣]،وعلى ضوء ذلك فان قيام دولة "اسرائيل" عام ١٩٤٨ كانت المحفز لتشكل (الهوية الفلسطينية المضادة) لهوية المحتل الصهيوني.

وبذلك يمكن القول، بالرغم من ان تاريخ الهوية الفلسطينية بدء منذ ازمان طويلة في ظل دول اسلامية متعاقبة وتاريخ سابق لكل التواريخ، الا ان عام ١٩٤٨ مثل بداية مختلفة وولادة انبثقت من خطوط النار، ما كان قائما في فلسطين قبل النكبة احتوى على شعب ينتمي الى

حضارة تسعى لدولة مستقلة اسوة ببقية العرب في زمن سيطرة الاستعمار، وما وقع في النكبة عام ١٩٤٨ اقتلع الحلم وهجر الشعب الذي اراده.

لقد عزز هذا البعد السياسي / الانساني للهوية الفلسطينية من مقدرتها على استيعاب كل من يتداخل معها، على سبيل المثال، كان (محجوب عمر)، المناضل الفلسطيني في صفوف المقاومة، والوف العرب الذين ناضلوا واستشهدوا من اجل فلسطين، نماذج لهذا التداخل الذي صنع الهوية الفلسطينية بصفتها هوية كفاحية وانسانية،

وفق ما تقدم، الهوية الفلسطينية بالرغم من تاريخها الموغل في القدم، تشكلت بامتياز عبر ميزان لعدالة مفقودة وهذا البعد الاخلاقي / الحقوقي للهوية الفلسطينية سمح بالانتماء اليها والسياحة في ربوعها من قبل مواطنين من مجتمعات شتى[٣٤].

يبد ان اخفاق النظام العربي في تحقيق تطلعات الفلسطينيين بالعودة الى ارضهم، وفي تفكيك المشروع الفلسطيني، قد اسهم في تزايد شعور الشعب الفلسطيني بان هويته الوطنية آيلة للسقوط مع غياب المقاومة، لذلك فرضت متطلبات الواقع الى تشكيل هياكل تنظيمية للمبادرة والاشتباك مع العدو الصهيوني وكان في مقدمتها منظمة التحرير الفلسطينية التي تاسست عام ١٩٦٤ بقرار من النظام العربي الرسمي، اخفت المنظمة بامتداداتها في الشتات بعدا مؤسساتيا للهوية الفلسطينية يعبر عنها ويتحدث باسمها وينظم الحالة الثورية، ويوحد صفوفها بتبني الكفاح المسلح منهجا وسلوكا كخيار وحيد لانجاح مشروع التحرير. وقد قيم القائد خليل الوزير (ابو جهاد) مرحلة الكفاح المسلح التي قادتها المنظمة بقوله: "انها عملية مركزية، شاملة، متعددة الجوانب.. وانها الطريق لاعادة بناء شعبنا وابراز هويته الوطنية من اجل تحقيق اهدافه في العودة وتحرير الارض"[٣٥].

اذاً تاسيس منظمة التحرير الفلسطينية كان لحظة تحول مفصلية في منحى صعود الهوية الوطنية الفلسطينية بوصفها تعبيرا شبه كياني عن حالة التشظي الكبرى بعد النبكة، توجته لحظة انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة في يناير ١٩٦٥ بوصفها ذروة الوعي الجمعي الفلسطيني بهويته التحريرية الكفاحية في مواجهة "نكبته" التي تسبب بها المشروع الاستعماري الصهيوني النقيض، فيما منحت محطة الاشتباك/ الهزيمة في عام ١٩٦٧ زخما اضافيا للهوية الوطنية، خاصة بعد هزيمة المشروع القومي الناصري، التي عبرت عن وعيها الوطني الفلسطيني من

خلال تحول الجناح الفلسطيني في حركة القوميين العرب الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نهاية عام١٩٦٧، لتاتي لحظة الاشتباك في معركة الكرامة عام ١٩٦٨ باضافة نوعية تمثلت في سيطرة فصائل الثورة الفلسطينية، خاصة حركة فتح، على منظمة التحرير الفلسطينية، واكساب تلك الثورة زحما جماهيريا هائلا في فترة قياسية من الزمن [٣٦].

استمر منحى صعود الهوية الوطنية الفلسطينية عبر مفصل احداث ايلول في الاردن، ليبدا مسيرة "استقرار" نسبي بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣، وتحديدا في عام ١٩٧٤، حيث تغيرت قواعد الاشتباك عبر مفصل البرنامج المرحلي – برنامج النقاط العشرة بوصفه برنامجا سياسيا تبنته منظمة التحرير الفلسطينية في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشرة، وهو المفصل الذي اسس لتحول جذري لم تتضح معالمه الا في دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة في الجزائر[٣٧]، ان الخروج الثوري الفلسطيني من لبنان وتشتته بعيدا عن مركز الصراع مع العدو الصهيوني وضعف الحضور الفلسطيني المقاوم في الداخل وغياب الدعم الاقليمي للقضية الفلسطينية اضعف الهوية الفلسطينية، غير ان الانتفاضة الشعبية عام ١٩٨٧ اكدت من جديد قدرة الفلسطينين في الداخل على رفع شان هويتهم الوطنية والحيلولة دون ذوبانها.

المرحلة الثانية: مرحلة اوسلو وضرب المقوم الاساس للهوية الوطنية الفلسطينية:

اتفاقية اوسلو: اول اتفاقية بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية اتخذت اسمها من العاصمة النرويجية حيث جرت مفاوضات سرية بين الطرفين لمدة عامين قبل التوقيع عليها عام ١٩٩٣.

بموجب الاتفاق: اعترفت المنظمة بدولة اسرائيل مقابل اعتراف اسرائيل بالمنظمة ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني، وانسحبت اسرائيل من مناطق غزة واريحا ثم من مناطق من الضفة الغربية، وتحملت السلطة الفلسطينية بدعم اقليمي دولي اعباء ادارة الحكم من تعليم وصحة... الخ، ما يرسخ مفهوم الاحتلال الناعم، اذ اصبح الاحتلال الاسرائيلي ارخص احتلال عرفه التاريخ المعاصر.

بالمعالجة السطحية للامور – يبدو الاتفاق والنظام الناشيء عنه كما لو انه بالضبط لعب دورا في تعزيز الهوية الوطنية وهذا ما ظل مؤيدوا اوسلو، وحتى اليوم يبررونه: فلاول مرة تاسست سلطة فلسطينية على ارض فلسطينية اسمها حسب الاتفاقات سلطة الحكم الاداري

الذاتي، ولاول مرة اصبح للفلسطينيين مجلس تشريعي منتخب يقوم وصلاحيات حددتها الاتفاقات والتفاهمات مع المحتل، واصبح لديهم ايضا مؤسسات اجتماعية واقتصادية وشعبيه ووزارات وهيئات ومصالح ومهرجانات... بمعنى ان الاتفاق عزز كل مقومات الهوية الوطنية.

سطحيا يبدو هذا صحيحا، ولكن جوهريا العكس تماما، اذ ان الاتفاق وما نتج عنه من نظام وحقل سياسي جديد الحق الضرر بمقومات الهوية، بل لعب ويلعب دورا تخريبيا على صعيدها، يصف الباحث الفلسطيني (وسام رفيدي جوهر) الاتفاق وتاثيره على الهوية الفلسطينية بقوله: نحن امام تاثير مركب لاتفاق اوسلو: همش المنظمة اي منظمة التحرير الفلسطينية ككيان سياسي / معنوي وبالتالي، ضرب المفهوم الاساس للهوية الوطنية، فاحدث شرخاً في وحدة الشعب الفلسطيني فضرب بالتالي، وايضا، هويته الوطنية [٣٨].

يمكن القول ان اوسلو بكل تفاصيلها وتبعاتها جسدت (فكرة قانون*) فيما يتعلق بالاستعمار، فقد نجحت اسرائيل" بجر المنظمة الى الدائرة التي رسمتها له، بعد ان أخرجت العناصر المتطرفة من المشهد امثال: صلاح خلف، وخليل الوزير واخرين، كما ثبتت نظرية فانون فيما يتعلق بالمعارضة، كما هو حاصل مع حركة حماس وحركة الجهاد الاسلامي تتفتت مطالبهما تدريجيا، وكبديل عن التسوية تتصرف الحركتان بنوع من البراجماتية تحت ذريعة مفهوم الهدنة الى جانب الانغلاق على الذات، ورفض المخالفين، وغياب التفكير النقدي.

المرحلة الثالثة: مرحلة الانقسام وظهور ملامح ثنائية الهوية:

شهدت الساحة الفلسطينية خلال الانتفاضة الاولى عام ١٩٨٧ ظهور ملامح ثنائية القوى الوطنية والقوى الاسلامية، وشاع التنظير لهوية منفصلة عن الهوية الاسلامية، اذ شهدت الانتفاضة تطورا تمثل في اقحام التيار الاسلامي بحركة حماس خطابا وبرنامجا مغايرا لبرنامج منظمة التحرير الامر الذي ادى الى تشتت الهوية الفلسطينية، وقد جاءت هذه الثنائية نتيجة للصراع السياسي في العالم العربي في حقبة الدولة القطرية المستقلة، بين التيارات القومية والبعثية والناصرية، وبين الاخوان المسلمين وحزب التحرير[٣٩]، ويمكن القول، ان هذه الثنائية كانت من اهم الاخطاء المنهجية الكبيرة في العمل الوطني الفلسطيني، والتي جعلت الهوية الفلسطينية في حالة توهان، فالتيار الوطني اعتبر التيار الاسلامي خارج السياق الوطني، والتيار

الاسلامي رفض التيار الوطني واعتبره علمانيا فاسدا، فكانت الثنائية هذه مقدمة احتراب فلسطيني داخلي ادى في نهاية المطاف الى انقسام اسود عام ٢٠٠٧.

المبحث الثالث

الاحتلال الاسرائيلي ومحاولات اجتثاث الهوية الوطنية الفلسطينية

ليس الصراع المحتدم بين العرب والحركة الصهيونية، قبل عام ١٩٤٨ وفي مراحل تاليه لقيام كيانها بعد عام ١٩٤٨، مجرد نزاع عادي حول قضية معينة او خلاف على حدود، ولكنه صراع حتمي بين القومية العربية بقيمها وحضارتها ومضامينها وحاضرها، وبين حركة عنصرية دخيلة اقحمت على المنطقة وغرست فيها كتلة غربية وهذا الصراع لا يقتصر على ميدان او مجال واحد وانما هو صراع شامل نابع اساسا من الابنية الثقافية والحضارية والقومية للشعب العربي في مختلف اقطاره – ومنها فلسطين ميدان البحث – وبين الكيان الاسرائيلي.

وهذه الطبيعة المتشابكة للصراع وهذه الشمولية والديمومة، تجعل من المستحيل خلق نوع من التعايش بين الطرفين على كل الاصعدة.

بناء على ما تقدم، يقدم البحث هنا تحليلا لمحاولات الاحتلال اجتثاث الهوية الوطنية الفلسطينية في الاراضي التي احتلها، فضلا عن سياساته التعسفية في الضفة والقطاع، كذلك البحث في تاثير التهجير القسري على حاملي الوطنية خارج فلسطين.

اولا: سياسات الاجتثاث الصهوينية في الارضي الفلسطينية المحتلة:

تؤكد مراجعة السياسة الاسرائيلية نحو الاقلية العربية في اسرائيل ان هذه السياسة لم تهدف الى صهينة او اسرلة العرب من خلال دمجهم في حياة الدولة واعادة تثقيفهم، فكما ان الهوية العربية او الفلسطينية تشكل خطرا على كيان الدولة فان دمج العرب كمواطنين متساوين في الحقوق يشكل خطرا على طابع الدولة كدولة يهودية – صهيونية ويلغي امتيازات الاكثرية[٤٠]، فمن وجهة النظر الاسرائيلية فان العرب في اسرائيل اقلية معادية او طابورا خامسا، او اقلية غير ودية في احسن الاحوال، وانهم اشبه بالقنبلة الموقوته، ويرجح العديد من الباحثين "الاسرائيليين" اسباب التمييز الى تعريف اسرائيل نفسها رسميا بانها دولة اليهود، وبالتالي فان المساواة الحقيقية للمواطنين الاسرائيليين لا يمكن ان توجد في اسرائيل، ويفضل (سامي سموحا) الباحث الاسرائيلي في علم الاجتماع ان يستعمل عبارة ديمقراطية عرقية

لوصف اسرائيل حيث تمنح الاكثرية اليهودية وضعا مميزا[٤١]، لذلك من الاصح ان نقول ان السلطة ارادت الاقلية العربية ان تكون دون هوية، على هذا الاساس، يمكننا فهم السياسة التي منعت العرب من التعبير عن الانتماء الصهيوني – اليهودي، وانما اكدت الولاء للدولة "من بعيد"، من جهة اخرى.

اذا وظيفة النظام السياسي في اسرائيل هي ترسيخ ايديولوجيا بين المستوطنين، واخرى بين السكان الاصليين تبرز الواقع، وخصوصا اوضاع هؤلاء السكان والسياسة المتبعة تجاههم، ومن اجل ترسيخ هذه الافكار، لا بد من سيطرة السلطة المركزية في اسرائيل على اجهزة التنشئة الرئيسية: جهاز التعليم، ووسائل الاعلام والجيش، وكذلك وسائل الاتصال بين الاكثرية والاقلية، وبين الاخيرة والعالم الخارجي، فالسلطة تنتج منهاج التعليم، وتشرف عليه مباشرة، وتحتكر وسائل الاعلام الجماهيرية الرئيسية (التلفزيون والراديو) التي تخضع ل سلطة البث الحكومية، وتفرض رقابة عسكرية على الصحافة بحسب انظمة الطوارئ الانتدابية االتي لازالت سارية المفعول، كذلك تساهم في التنشئة السياسية، وبشكل اساسي في الابحاث الاكاديمية التي تعتبر دعامة قوية للايديولوجيا الاستيطانية ووسيلة مهمة للمواقف من السكان الاصليين.

بناء على ما اسلفنا، يمكن الاستنتاج ان الاسرائيلي يعيش عملية تنشئة قومية سياسية يومية يتم من خلالها:

التشديد على ان الفلسطينيين في اسرائيل لا يشكلون اقلية وانما هم عبارة عن اقليات وطوائف واديان واوساط مثل الوسط البدوي والوسط الدرزي، ففي الكتب والصحف ووسائل الاعلام تستعمل عادة مصطلحات مثل: العرب والدروز او العرب والمسيحيون والدروز والبدو، وفي كل الحالات تعني كلمة عربي مسلم اما ابوز الامثلة على هذه السياسة في جهاز التعليم، وفي وسائل الاعلام، فهي المحاولة المستمرة لسلخ الطائفة الدرزية عن الاقلية العربية الفلسطينية[٤٢].

ويعبر الباحث الفلسطيني (محمد عرفة) عن هذه السياسة بقوله: سعت اسرائيل الى تفتيت هؤلاء العرب، وتقسيمهم الى فرق دينية، تتعامل مع كل فرقة بطريقة تختلف عن الاخرين، فمثلا تعاملت مع الدروز كجزء من المجتمع اليهودي، وذهبت ابعد من ذلك الى حد تجنيدهم في الجيش دون بقية العرب الاخرين[٤٣].

- تشويه القومية العربية وتبخيسها نسبة الى هوية الاكثرية:
- ابراز الامكانات الخارقة للصهاينة التي تجعلهم دائما الاسمى والاكثر تفوقا والتقليل من قد رات الاخرين والحط من شانهم وتصويرهم على انهم في المرتبة الدنيا من جهة اخرى.

والادهى من كل ذلك انهم يتحدثون بصراحة ودون مواربة عن انهم قد اعدوا العدة لخطتهم لاجتثاث الهوية الفلسطينية وحشدوا الادوات المطلوبة: المثقف والكتاب والقلم والافكار والمفاهيم من اجل القيام بهذه المهمة التي لابد ان تحقق نتائج لا تقل اهمية عن نتائج الغزو العسكري، واعني به غزو العقل العربي وسلوكه.

كما اتجهت السياسة الاسرائيلية الى سياسة اكثر ايلاما تجاه الفلسطينين في المناطق التي تقع تحت سيطرتها وخاصتة (مدينة القدس)، بهدف اجتثاث هويتهم، فالقمع المنهج وسحب الاقامات وهدم المنازل والاعتقالات والتصفية الجسدية والسيطرة على المدارس العربية والمؤسسات التربوية الخاصة وغيرها من الاجراءات القمعية التي تهدف كلها الى تغيير هوية المدينة والى اضعاف المناعة النفسية للمواطن المقدسي ووضعه في حالة يعيش فيها فقط منكبا على السعي وراء ايجاد الوسائل الاساسية لضمان بقائه في هذه المدينة لا اكثر(٤٤).

ثم جاءت اتفاقية اوسلو لترسم الحدود المكانية بين المقدسين وباقي السكان الفلسطينيين وتعزل ساحات المدينة عن امتدادها الطبيعي وبالتالي خلقت حالة من الانعزال والاغتراب وضعف الاحساس بالانتماء للكل الفلسطيني(٤٥).

ثانيا: سياسات الاجتثاث الصهوينية في الضفة الغربية وقطاع غزة

احتلت اسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة في حرب عام ١٩٦٧، وكانت بالنسبة للدولة العبرية قفزة هائلة على المستوى الاستراتيجي اذ عد الاحتلال لهاتين المنطقتين استكمالا للمشروع الصهيوني في احتلال ما تبقى من فلسطين وبالتالي استيطانها وتهويدها من وجهة النظر اليمينية الدينية، كما انها حسنت الوضع الاستراتيجي والسايسي والاقليمي لـ(إسرائيل) في نظر المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة وحزب العمل على حد سواء.

كانت اول خطوة قامت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في هاتين المنطقتين وباقي الاراضي العربية المحتلة، ان فرضت نظام الحكم العسكري عليها وحلت جميع الدوائر

والمؤسسات والبلديات والهيئات والمنظمات الرسمية والشعبية وحضرت مختلف الاحزاب السياسية التي كانت قائمة، واصدرت سلسلة من القوانين والقرارات والاجراءات، علاوة على اكثر من ٤٠ امرا عسكريا منذ عام ١٩٦٧ وحتى اوسلو، بالاضافة الى اوامر التعينيات المتعلقة بالدوائر والبلديات، وكانت سلسلة من الاوامر اضيفت اليها تحمل رقم (٧٤) تضم اكثر من ٦٠٠ بندا تتعلق بالمطبوعات التي تناهض الاحتلال، مثل الكتابات السياسية والشعر والقصة والمؤلفات ذات الطابع الوطني والقومي[٤٦].

بالنظر لان المجال لا يتسع لذكر مجمل السياسات الصهيونية التي يراد تحقيقها على المستويات العسكرية والامنية والاقتصادية، يكتفي البحث بتناول السياسات على المستوى الاجتماعي لارتباطه بموضوع البحث.

تمثلت السياسة الصهيونية على المستوى الاجتماعي بخطوات متعددة ومنهجية بهدف احكام السيطرة على المجتمع الفلسطيني في الضفة والقطاع من خلال استغلال البنى الاجتماعية العشائرية – كخطوة اولى – عندما بدات تتصل بمخاتير القرى وتعين رؤساء بلديات على خلفيات عشائرية، ثاني الخطوات كانت ربط المؤسسات الخدمية والتعليمية والزراعية والتجارية والصناعية والصحية والادارية المتصلة بشكل مباشر بحياة الفلسطينيين اليومية، بضباط ارتباط تابعين للحكم العسكري ويعملون في جهاز الامن الداخلي الاسرائيلي (الشاباك) ويجيدون اللغة العربية ويعرفون مكامن الضعف والقوة في النفسية العربية[٤٧].

ثالثا: سياسة التهجير القسري وتاثيرها على فلسطينيوا (الشتات).

مفهوم الشتات: هو اداة تحليلية لفلسطيني الخارج لا باعتبارهم مجموعة اجبرت على الرحيل قسريا بالرغم ارتباط الكثير منهم بالوطن روحيا وماديا ولكن باعتبارهم انهم مجموعة مرتبطة بالمجتمع المستقبلي بروابط لا يمكن ان يهملها البحث.

غالبا ما يستخدم (فلسطينيوا الشتات)، لوصف الفلسطينين الذين يعيشون خارج الجغرافيا الفلسطينية المحتلة، وهم غالبا الذين هجروا ما بين حربي ١٩٤٨ و ١٩٦٧، ومنهم من هاجر طواعية قبل عام ١٩٤٨ لاسباب اقتصادية الى القارتين الامريكيتين (الشمالية والجنوبية)، وقارة استراليا واوروبا، بالاضافة لهؤلاء المهجرين هناك الهروب او الهجرة التي حدثت بسبب الاضطهاد الصهيوني للفلسطينيين التي تقع مناطقهم تحت السيطرة الاسرائيلية.

ومن هنا، لا نجد بدا من اقتباس مفهوم الشتات للباحث (روبن كوهين)، ففي سياق شرحه لـ(الشتات العالمي)، يرى كوهين، ان مصطلح الشتات يحمل في طياته معاني مرتبطة بالشؤم والوحشية، ويرمز الى اذى وعقاب جماعي بحيث يحلم الشخص بالوطن ويعيش في المنفى[٤٨].

يظهر الشكل رقم (٢) النطاقات الجغرافية لتواجد فلسطينيوا الشتات، ويتبين من الشكل ان الضفه الغربية وقطاع غزة تعدان النطاق الجغرافي الاول الذي فيه لاجئون فلسطينيون (ويعبر عنهم في الادبيات السياسية بـ(لاجئوا الداخل) وغالبيتهم ممن هجرو او هربوا جراء حرب ١٩٦٧ فيما تعد دول الطوق الجغرافي المحيط بفلسطين – سورية، لبنان، الاردن، مصر – النطاق الجغرافي الثاني الذي استوطن فيه لاجئيي فلسطين.

فيما تعد دول الطوق الجغرافي (غير المباشر) – العراق، دول الخليج العربية – باقي الدول العربية – نطاق جغرافي ثالث لجا اليه الفلسطينيين، وتعد قارات اوروبا، الامريكيين – استراليا – نطاق جغرافي رابع لفلسطيينيي الستات.

الشكل رقم (٢)

النطاقات الجغرافية لفلسطينيي الشتات

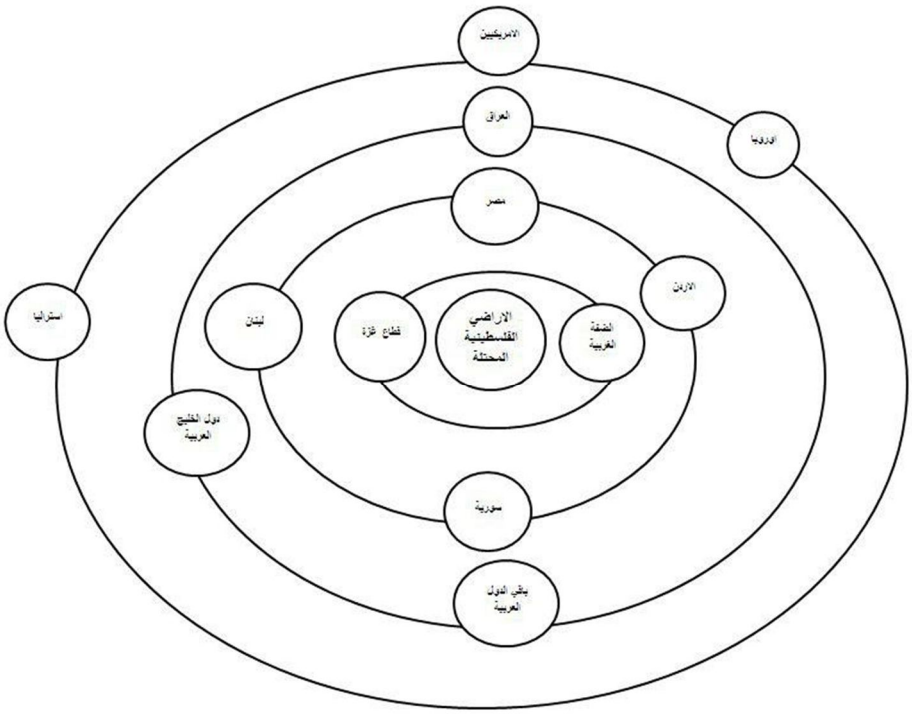

بالرغم من صعوبة تحديد دقيق للشتات الفلسطيني في ظل عدم غياب احصاء سكاني شامل لكل فلسطيني الشتات والفلسطينيين الذين بقوا في فلسطين، الا ان البحث لا يجد مناصاً من الاشارة الى احصائيات مركز بديل والجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني. بحسب (الجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني)، بلغ عدد اللاجئين(٨١٠) الف لاجئ عام ١٩٤٨، وعدد الشعب الفلسطيني كما قدره الجهاز (١١،٢٢) مليون نسمة عام ٢٠١١، منهم قرابة (٦٦%) لاجئون[٤٩].

فيما تشير احصائيات (مركز بديل) بحسب المسح الشامل للاجئين والمهجرين لعام ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ان نسبة المهجرين تبلغ (٧٦%). ويقدر تعداد المهجرين المسجلين وغير المسجلين بـ(٧،١) مليون نسمة. وتظهر احصائيات المركز، ان اللاجئون شكلوا في الضفة الغربية (٢٧%) من السكان، وفي غزة (٦٤%)، وفي الاردن (٣٠،٥%)، وفي لبنان (١٠،٢%)، وفي سورية (٢،٤%) يعيش منهم داخل المجمعات (٩%) في الضفة، و (٥٤%) في القطاع، و (١٩،٦%) في الاردن و (٨،٩%) في لبنان، اما في سورية (٢٨،١%)[٥٠]، والباقي مشتتون في كل بقاع الارض.

والسؤال الذي يطرحه بحثنا: هل للاجئين الفلسطينيين هوية واحدة ام عدة هويات ؟ واذا كان لديهم هوية واحدة، فبماذا تتميز داخل الهوية الوطنية الفلسطينية.

الجدير بالذكر ضمن هذا السياق الهوياتي، هو ان معظم اللاجئين في الشتات يحملون اليوم جنسيات بديلة، ويندمجون بشكل جيد نسبيا في المجتمعات المضيفة كمواطنين او مواطنين من الدرجة الثانية، كما ان وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية تتراوح ما بين الطبقة الوسطى والعليا، اما فيما يتعلق بالمخيمات فان معدل الدخل العام منخفض بالقياس الى دخل المواطنين المحليين او الفلسطينيين المقيمين خارج المخيمات.

بحسب مسح ميداني قام به (مركز بديل)، تشير النتائج الى وجود فروق ذات دالة احصائية، في هوية اللجوء بين لاجئي المخيمات واللاجئيين خارج المخيمات. فلاجئوا المخيمات افادوا انهم يشعرون انهم اكثر من اللاجئيين خارج المخيمات (٩٦% مقابل ٧٥%)، يبدو ان ظروف المخيم القاسية، وبخاصة في السكن تعزز هذا الشعور، وبحسب العينات التي اجراها

المركز تبين ان هوية اللجوء اقوى لدى اللاجئيين في المخيمات منها لدى اللاجئيين خارج المخيمات(٥١).

على سبيل المثال لا الحصر، يقدم البحث ثلاثة نماذج لمجتمعات الشتات، لبيان مدى تمسكهم بهويتهم الوطنية.

المجتمع الفلسطيني في لبنان: كانت وما زالت هوية اللجوء في لبنان قوية في مخيمات اللاجئين، ذلك لان الاندماج في المجتمع البناني كان صعبا، بسبب التضييقات التي وضعتها الحكومات اللبنانية على هذه المجتمعات، باستثناء الفترة التي كان للثورة الفلسطينية فيها نفوذ قوي، فبعد حرب ١٩٨٢ تازمت ظروف المخيمات وزاد الضغط عليها حتى باتت تعيش ظروفا من الصعب تحملها، هذه الظروف عززت هوية اللجوء واشتدت لتخلق حالة اغتراب خطيرة، وتبدو الخطورة –براي الباحثين في الشان الفلسطيني وهو ما يؤيده بحثنا – في الاحساس ليس فقط بعجز منظمة التحرير الفلسطينية عن توفير الحماية لهم، بل باهمالهم من قبل المنظمة التي دفعوا هم الثمن الاكبر في سبيل تعزيز وجودها، وازداد الامر تعقيدا، في ظل الانشغال بامور السلطة ما بعد اوسلوا، وكأن الارض ليس لمن يحررها، او كأنهم يُدفعون الى القبول بما نشاوا على رفضة – قبول التوطين او اعادة التوطين، وما يعنيه ذلك من تجرد من الهوية الوطنية(٥٢).

المجتمع الفلسطيني في الاردن: بالرغم من عدم وجود دراسات تتحدث عن مدى الاختلاف في هوية اللجوء بين سكان المخيمات واللاجئين خارجها (وهم يشكلون ٨١% من مجمل اللاجئين في الاردن، وغالبيتهم يمتلكون البيوت التي يقطنون فيها) الا انه يمكن القول ان التفاوت اكبر في الانتماء بينهما من حيث هوية اللجوء، ومن حيث الانتماء الى الهوية الوطنية الفلسطينية.

المجتمع الفلسطيني في الامريكيتين واستراليا واوربا: توصف المجتمعات الفلسطينية في تلك القارات بأنها مجتمعات انصهرت في المجتمعات الاصلية وهم اولئك الذين هجروا فلسطين في بدايات القرن التاسع عشر، ففيما حاول الجيل الاول الهجرة، حاول الجيل الثاني منهم الانصهار في تلك المجتمعات، يحاول الجيل الثالث مرة ثانية الرجوع الى الجذور والهوية الاصلية دون ان يتسبب ذلك باشكاليات مع الهوية المكتسبة(٥٣).

المبحث الرابع

المقاومة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية

مارس الشعب الفلسطيني المقاومة السلمية وغير السلمية، على مدار عقود النظال منذ مطلع القرن العشرين ولا يزال من اجل تحرير الارض، وقد مرت المقاومة بموجات مد وجزر، بحسب الظروف الذاتية والموضوعية، وقد بذل الشعب الفلسطيني على طريق الحرية كل مستطاع، وعلى الدوام تعرضت المقاومة للاستهداف والمحاصرة، تضافرت جهود اقليمية ودولية لاجهاضها، وفي كل مرة تكون المقاومة وانجازاتها ضحية للاحداث الكبيرة في المنطقة والعالم، ولنهج التسويات والمساومات الذي اعتمدته اطراف فلسطينية وعربية.

وعلى الرغم من ذلك، فان الشعب الفلسطيني ظل على الدوام يضع ثقته في نهج المقاومة ولم تكن الفترات التي اتاحها لبرامج التسوية – التي اضرت بالهوية الوطنية الفلسطينية – سوى فترة اختبار وتجريب لها، وما يلبث الشعب الفلسطيني ان يعود لخياره الحقيقي الاصيل، والمعادلة الطبيعية للصراع، الامر الذي ينطبق على تجربة اوسلو، فكانت العودة الى الانتفاضة والمقاومة المستمرة والوعي بجدواها ويتكرس كل يوم حتى اصبحت مفردات ثقافة المقاومة متجذرة في الوجدان والوعي الفلسطيني(٥٤).

بناء على ما قدمه البحث حول محاولات الاحتلال الاسرائيلي اجتثاث الهوية الوطنية الفلسطينية بشتى الوسائل– الاضطهاد – التهميش – التهجير القسري– يقدم البحث هنا بايجاز اشكال المقاومة الفلسطينية ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية.

اولا: المقاومة الثقافية: مما لا شك فيه ان للمقاومة الثقافية دور في صياغة الهوية الجماعية الفلسطينية ليس للعرب في اسرائيل فحسب بل لفلسطيني الشتات في كل مكان. لقد انطلقنا في بحثنا من الافتراض النظري بان الثقافة تشكل عنصرا اساسيا في الهوية، وكونها اكثر العناصر حساسية، ولذلك فهي تشكل عنصرا اساسيا ايضا في المقاومة للدفاع عن هذه الهوية.. لقد كان للثقافة بصورة عامة وللثقافة الشعبية كذلك دور مهم ومركزي في ابراز العناصر الايجابية في تاريخ الفلسطينيين – في الداخل (الجماعة العربية في اسرائيل او الاراضي المحتلة، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة – مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية) وفي الخارج (الشتات) وحاضرهم ومستقبلهم، من خلال سرد التاريخ وتفسيره، ووصف الحاضر وتحليله، وتصور المستقبل

الافضل، بواسطة استخدام رموز وتعابير واساليب اتصال مميزة ساهمت في التشبث والتمسك بالهوية الوطنية الفلسطينية.

ويمكن القول، ان برنامج المقاومة الثقافية يقوم على جملة حقائق ومبادئ وقناعات اهمها:

- ان حق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه حق لا يسقط بالتقادم، ولا تغيره موازين القوى او الظروف المحيطة، ولا تملك فئة او حزب او اشخاص التنازل عن الارض والمقدسات.
- لا ينبغي لاصحاب القضية ان يسهموا في الضعف والتخاذل العربي والاسلامي، ولكن عليهم ان يكونوا عامل نهضة وصمود، ورأس حربة في الصراع، ولا تعفى الامة من دورها الاساسي والرئيسي في التحرير، فخفض الشعب الفلسطيني سيؤدي الى المزيد من التراجع في الموقف العربي والعكس صحيح.
- ان ادراكنا للواقع يدفعنا للعمل على تغييره لا للتساوق معه، والاستسلام له، بل يجب ان ندرك الواقع غير المواتي بانه مرحلة في سياق تاريخ ممتد، وصراع حضاري تكبو فيه الامة ثم تنهض، فلا يجدر بنا الاستسلام للحظة ضعف وهزيمة، وكانها قدر محتوم دائمة.
- ان العلاقة بين الشعب (سواء بالداخل او بالخارج) والاحتلال، هي المقاومة باشكالها كافة، معادلة بسيطة وواضحة، يترتب عليها ان تصاغ حياة شعبنا ومؤسساته وبرامجه على اساسها.
- ان اختلال موازين القوى يفرض الاتجاه نحو المقاومة لا التفاوض، اذ ان طاولة المفاوضات تبرز وتكرس ذلك الخلل ولا تصلحه، وتحوله من واقع على الارض يمكن التعامل معه والتمرد عليه، الى تكريس لهذا الواقع المختل وتثبيته في الاتفاقيات[٥٥].
- التعبير عن مشاعر الحزن والغضب والمرارة والاحساس بالظلم والاضطهاد.
- وصف مهانة اللجوء، وفقدان الارض.

- التاكيد على الانتماء العربي والاسلامي، وتمجيد القيم العربية الاصلية، والافتخار والتباهي بامجاد العرب وتاريخهم وحضارتهم، باعتبار ان الهوية الفلسطينية جزء وامتداد للهوية العربية.

ثانيا: المقاومة الاعلامية: لعب الاعلام الفلسطيني (المقروء والمسموع) دروا هاما في القضية الفلسطينية، من خلال تناول الصراع مع العدو بالتحليل ونقل القضية الفلسطينية الى العالم الخارجي، فضلا عن تاسيس المراكز البحثية التي اخذت على عاتقها وضع الاستراتيجيات لمواجهة محاولات اسرائيل اجتثاث هوية الفلسطينين الوطنية. كان لجماعات الشتات دورا لا يقل اهمية عن فلسطينيوا الداخل، في مواجهة القمع الاسرائيلي ومقاومة السياسات التمييزنه من مواقعهم، والا نخراط في المعركة الاعلامية من خلال اعداد التقارير الدقيقة في مواجهة الدعاية الصهيونية، اضافة الى تسهيل الحملات الاعلامية.

ثالثا: المقاومة المسلحة (الكفاح المسلح)

شكلت الثورات والانتفاضات الفلسطينية المتتابعة منذ عقد الخمسينات من القرن الماضي الى الان، امتدادا ونتاجا للحراك السياسي والايديولوجي الذي كان قائما منذ اعلان الكيان الصهيوني دولته على ارض فلسطين، كما جاء تبني الكفاح المسلح منهجا وسلوكا كسبيلا ومكملا للمقاومتين الثقافية والاعلامية لتوحيد الشعب الفلسطيني، وابراز هويته الوطنية من اجل تحقيق اهدافه وتحرير الارض، ويمكن القول: ان تبني المقاومة المسلحة كان ايذانا لبلورة الهوية الوطنية الفلسطينية، في اطار العمق القومي العربي، وعلى قاعدة تحرير فلسطين من البحر الى النهر، وقد وجدت هذه المضامين طريقها الى الميثاق القومي ثم الوطني الفلسطيني.

لقد قدم الشعب الفلسطيني في مختلف اماكن وجوده الاف الشهداء والجرحى والاسرى خلال مسيرة الثورة الفلسطينية، ولعب اللاجيء الفلسطينيي في الشتات دورا مركزيا في ذلك النضال، بيد ان الخروج من لبنان، وتوجه قيادة منظمة التحرير بوضوح نحو التسوية مع العدو، اديا الى ان يلتقط العقل الجمعي الفلسطيني في الداخل الاشارة واللحظة التاريخية، فاستلم زمام المبادرة للانتفاض في وجه الاحتلال، الامر الذي اذن بانتقال المعركة الى الشارع الفلسطيني في الضفة والقطاع، كما برز الدور الاسلامي الجهادي ممثلا، بقوى الاسلام السياسي – (حركتي حماس والجهاد الاسلامي) – بقوة وفاعلية في معادلة الصراع، فكان هناك مازق الكيان

الصهيوني الناجم عن المقاومة، فاتجه الطرفان لعقد اتفاق اوسلو، فكان نهاية قسرية للانتفاضة، وانهاء لفصل الثورة المتمثل في تحرير فلسطين من البحر الى النهر، الامر الذي فتح الباب امام انقسام الشعب الفلسطيني على البرنامج السياسي، وتحول طرف فلسطيني ضد اخر، الى ان جاءت انتفاضة الاقصى، لتصحح بعضا من افرازات اوسلو، بيد ان جوهر الخلاف البرنامجي لا يزال قائما ولا تزال الساحة منقسمة بين برمامجين هما، برنامج التسوية وبرنامج المقاومة(٥٦).

رابعا: مستقبل الهوية الوطنية الفلسطينية في ضوء ثنائية الاحتلال والمقاومة.

التطورات السابقة، كما حاول البحث، باختصار الاشارة اليها ادت الى تحولات مهمة في الفكر السياسي للنخب السياسية في الساحة الفلسطينية، ففصائل المنظمة التي قادت النضال الوطني وشكلت وعي الشعب الفلسطيني السياسي، وساهمت في بلورة هويته الوطنية على اساس النضال، تخلت سواء اظهرت ذلك بوضوح او بموارية، عن هدف تحرير كامل فلسطين، بالمقابل ادى بروز قوى الاسلام السياسي، والتي لم تنخرط في عملية التسوية وبالتالي لم تكن ملزمة بالتنازل ولو شكليا، ادى الى اعادة الاصطفاف الجماهيري. وغني عن القول، ان هذا بدوره ادى الى بروز الهوية الدينية، والتي تطغى احيانا على الهوية الوطنية في ظهورها، ومما لا شك فيه ايضا ان عدم اضطرار الاتجاهات الوطنية الاسلامية للتنازل، واضطرار التيار الوطني العلماني للتنازل ولو ضمنيا، قد اسهم بدوره في خلق معادلة ظاهرها يوحي بان التمسك بالحقوق الوطنية سمة اتجاهات قوى الاسلام السياسي، والتفريط بها سمة القوى العلمانية، وبالرغم ان هذا – براي باحثين – تسطيع مغلوط للامور، وان جوهرها يثبت ان (ممارسة المقاومة بمفهومها الشامل) اي لتحقيق التحرير الكامل هو الفيصل في تحديد الهوية الوطنية(٥٧)، ويستند هؤلاء الباحثين في ذلك الى فشل السياسات الاسرائيلية في نزع هوية فلسطيني الداخل بعد اكثر من ٧٠ عاما من النكبة فسياسات التهميش، والاقصاء والتمييز العنصري، لم تستطيع ان تطغى على التمسك بالهوية الوطنية للفلسطينيين فالشباب الفلسطيني العربي (مسلمين ومسيحيين ودروز) اكدوا ان كلمة عربي فلسطيني تعبر عنهم وتعرفهم دون اي تردد.

في تقديرنا، فان الخطر الحقيقي هو ان تصل التحولات والانقسامات التي اشرنا اليها بالمواطن الفلسطيني الى مرحلة قد يتبنى فيها من المواقف ما يتعارض مع تمسكه بهويته من الناحية العلمية وان بقيت في وجدانه نظريا ولا سيما في ظل فقدان القوى الفلسطينية التقليدية

التي تحتضن الهوية الوطنية على اجتذاب الاجيال الشابة التي باتت تتاهب لتولي زمام الحركة الوطنية الفلسطينية.

خاتمة

ان الصراع بين العرب والكيان الصهيوني قبل عام ١٩٤٨م لم يكن صراعاً طبيعياً حول قضية محددة او نزاعاً على الحدود والمصالح الاخرى بل انه صراعاً شاملاً برزت فيه قضية الهوية الفلسطينية والتي تناولتها في هذا البحث من جوانب شتى اذ تم البحث في المشروع الوطني الفلسطيني من مداخل مفاهيمية واخرى عملية رصدت التغير السياسي والاجتماعي والديمغرافي والتحول في الهوية الفلسطينية وتجلياتها في ضوء تشرذم المجتمع الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ ومواجهتها تحديات أبان فترة الاحتلال ومن ثم المقاومة الفلسطينية التي قادت نضالا طويلا للتخلص من براثن الاحتلال الاسرائيلي.

ولا نبالغ في الاستنتاج اذا قلنا ان الهوية الفلسطينية معرضة للاندثار جراء هجرة الفلسطينيين المستمرة من سوريا ولبنان والدول الاخرى الى اقاصي الارض فالهوية مرتبطة عضوياً بالمكان ولا هوية تأريخية لأي شعبب بلا مكان محدد.

لقد كانت المخيمات الفلسطينية هي الاماكن التي تعلم فيها الفلسطينيون كيفية المحافظة على روابطهم العائلية القديمة وعلى لهجة ابائهم وميراثهم الانساني وحتى على انقساماتهم القروية التقليدية ومن هذه العناصر صاغ الفلسطينيون هويتهم في المنفى ودافعوا عنها رغم سياسات الاقصاء والتهميش ومحاولات الاحتلال الاسرائيلي طمس الهوية الوطنية الفلسطينية لم تستطيع ان تحول دون التمسك بالهوية الفلسطينية على اختلاف مشاريهم واتجاهاتهم ذلك ان ما يوحدهم هو النضال سواء في مرحلة الاحتلال او في مرحلة المقاومة.

هوامش البحث ومصادره:

(١) عفيف البوني، في الهوية القومية العربية (محررون)، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣-٢٤.

(٣) عبد اللطيف المتدين، الحدود الممزوجة: صراع الهويات من منظور سياسي، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع٤٥٤، ٢٠١٦، ص٦٣.

(٤) علي الدين هلال، تعقيب (٣)، على ورقة غسان سلامة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في تونس بين ٢٨ نيسان /ابريل و٢ايار /مايو ١٩٨٢ تحت عنوان: جامعة الدول العربية الواقع والطموح، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣، ص٨١.

(٥) عفيف البوني، مصدر سابق، ص٢٥.

(٦) عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع٤٥٧، ٢٠١٧، ص٤٣.

(٧) باقر سلمان البخار، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع٣٥٢، ٢٠٠٨، ص٣٧.

(٨) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٩) عبد الغني عماد، مصدر سابق، ص٤٢.

(١٠) امين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة: نهلة بيضون، دار الجندي، دمشق سورية، ط١، ١٩٩٩، ص١٢.

(١١) سعد الدين واخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٥، ص٣٣٢.

(١٢) نديم البيطار، حدود الهوية القومية، نقد عام، دار الوحدة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ص١٩.

(١٣) عفيف البوني، مصدر سابق، ص٢٤.

(١٤) عبد الغني عماد، مصدر سابق، ص٤٠.

(١٥) عبد اللطيف المتدين، مصدر سابق، ص٦٥

(١٦) باقر سلمان النجار، مصدر سابق، ص٣٦-٣٧.

(١٧) عبد اللطيف المتدين، مصدر سابق، ص٦٣.

(١٨) لدراسة اكثر تفصيلا عن ازمة الهوية في اسرائيل، ينظر: يحيى سليم حسن ابو عودة، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في اسرائيل واثرها على اتجاهات التسوية، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الازهر، غزة، ٢٠١١، ص٢٠٢-٢٢٧.

(١٩) العهد القديم، سفر التثنية، الاصحاح ١٤، الاية ١.

(٢٠) العهد القديم، سفر التثنية، الاصحاح ٢٦، الاية ١٩

(٢١) لدراسة اكثر تفصيلا عن مضامين (الهوية الدينية) ينظر: حميد فاضل حسن التميمي، الدولة اليهودية في الفكر الاسرائيلي، دار الشؤون المحلية، بغداد، العراق، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٨٥-٢٨٩.

(٢٢) حميد فاضل حسن التميمي، مصدر سابق، ص٢٩١-٢٩٢، كذلك ينظر عبد الله عبد الدائم، ندوة: العرب ومواجهة اسرائيل، احتمالات المستقبل، ج١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ص٣٣١.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٢٩٠، لدراسة اكثر تفصيلا عن مضامين الهوية اليهودية الاسرائيلية، ينظر: محمود عبد الرزاق الدليمي، الصراع الاجتماعي في الكيان الصهيوني، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص١٥٤-١٦٠.

(٢٤) يحيى سليم ابو عودة، مصدر سابق، ص٢٣٠.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٢٤٧.

(٢٦) نبيه بشير، حزب شاس يتصلب في مواقفه، نشرة المشهد الاسرائيلي، ع١٩٦، ٢٠٠٨، ص٧.

(٢٧) هدى شاكر معروف، مصدر سابق، ص٢٠٨، لدراسة اكثر تفصيلا عن (الهوية الصبارية)، ينظر: عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ط١، ١٩٨٦، ص١٠٠-١٠٤

(٢٨) هدى شاكر معروف، مصدر سابق، ص٢٠٨

(٢٩) لدراسة اكثير تفصيلا عن مضامين (الهوية الصهيونية)، ينظر حميد فاضل حسن، الهوية اليهودية تناقضات التاريخ وازمات المستقبل، مجلة الدراسات الفلسطينية، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، ع٣، ٢٠٠٢، ص١٤٢

(٣٠) لدراسة اكثر تفصيلا عن مضامين (الهوية الصهيونية الجديدة)، ينظر: حميد فاضل حسن التميمي، الدراسة اليهودية في الفكر الاسرائيلي، مصدر سابق، ص٢٩٣-٢٩٤، كذلك ينظر: عبد الله الشامي، مصدر سابق، ص١٣٥

(٣١) عزيز حيدر، دور المقاومة الثقافية في صناعة الهوية الجماعية: دراسة في الهوية الجماعية للعرب في اسرائيل، (محررون)، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص٤٢٢

(٣٢) عبد الرحيم الشيخ، الفلسطينيون – الهوية وتمثلاتها، (محررون)، المجتمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية، المركز الفلسطيني لابحاثات السياسات والدراسات الاستراتيجية – مسارات، البيرة، فلسطين، ط١، ٢٠١٣، ص٧٧

(33) Edward W.Said, After ward to orientalism (New york: Vintaqe,1994),332

(٣٤) شفيق ناظم الغبرا، تحديات الهوية الفلسطينية في عالم متغير، (محررون)، التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية، المركز الفلسطيني لابحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية – مسارات، البيرة، فلسطين، ط١، ٢٠١٣، ص١٨

(٣٥) احمد سيف، خليل الوزير يُقيم مختلف مراحل النضال الفلسطيني، شؤون فلسطينية، ع١٥٢-١٥٣، ١٩٨٥، ص١٤.

(٣٦) كايد عزات شريم، الهوية الوطنية الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية، المركز الفلسطيني لابحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية – مسارات، البيرة، فلسطين، ط١، ٢٠١٣، ص١١٤

(٣٧) المصدر نفسه، ص١١٥.

(٣٨) وسام رفيدي، الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية اوسلو: اشكالية التفكيك برسم النظام، جريدة حق العودة، ع٤٥، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، على الموقع: www.bodil.orq

* تتجسد فكرة او نظرية فانون في كتابه (معذبو الارض) كيف يضرب الاحتلال الثقافة والوحدة الوطنية للشعب المستعمر، فالاحتلال يختار من بين الاحزاب الوطنية التي شاركت في التحرير او المقاومة، واشكال ذلك الاختيار كلاسيكية معروفة، فهو حزب الاغلبية المختار بالاجماع، ومن ثم يقوم المحتل بتفتيت مطالب هذا الحزب، والطلب من قياداته بابعاد العناصر التي يعتقد انها متشددة والابقاء على العناصر الاكثر اعتدالا، وحين تستنكر الاحزاب الاخرى ما يفعله الحزب المعارض، يخشى الحزب الذي تسلم السلطة من خصمه، فيقوم باتهامه بعدم الشرعية، وهذا الاسلوب ذاته تستخدمه المعارضة الوطنية فيما بعد... ينظر: فرانز فانون، معذبو الارض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الاتاسي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥، ص٦٨.

(٣٩) سميح حمودة، الهوية الوطنية في فكر الاسلاميين، جريدة السفير، اذار، ٢٠١٢، ص١٦.

(٤٠) عزيز حيدر، مصدر سابق، ص٤١٦.

(٤١) هدى شاكر معروف، مصدر سابق، ص٢٠٨.

(٤٢) عزيز حيدر، مصدر سابق، ص٤١٥.

(٤٣) محمد عرفة، التعددية في المجتمع الاسرائيلي، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع٨٢، ١٩٨٨، ص٥٧

(٤٤) لدراسة اكثر تفصيلا عن السياسة الصهيونية تجاه القدس، ينظر: عبد الرحيم ابراهيم ابو عامر، السياسة الصهيونية تجاه مدنية القدس، سلسلة كتب البيان، مؤسسة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٩

(٤٥) وسام رفيدي، مصدر سابق

(٤٦) ينظر: دان شمتان، الفصل الاجباري بين اسرائيل والكيان الفلسطيني، ترجمة: احمد ابو هدبة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

(٤٧) احمد ابو هدبة، واقع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ الاحتلال وحتى الانتفاضة، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، ع٤٨، ٢٠٠٤، ص٤٦

(٤٨) عباس شبلك، الانعكاسات على فلسطينيي الشتات: تحديات الهوية المزدوجة والتكيف، معهد دراسات القدس، ط١، ٢٠٠٥

(٤٩) الجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني، الملخص الاحصائي الخامس

(٥٠) مركز بديل، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الموقع: www.badil.org

(٥١) المصدر نفسه، كذلك ينظر: عبد الفتاح القلقيلي واحمد ابو غوش، الهوية الوطنية: خصوصية التشكل والاطار الناظم، مركز بديل، الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت، على الموقع: www.badil.org

(٥٢) عبد الفتاح القلقيلي واحمد ابو غوش، مصدر سابق

- برغم النظرة الى لاجئيي الاردن، كمواطنين من الدرجة الثانية وبسبب الحاق الضفة الغربية بالاردن، برزت نخب سياسية فهم مؤيدة للنظام السياسي الاردني وتعمل تحت مظلته، هذه النخب وقفت ضد الثورة او ما عرف باحداث ايلول الاسود، وفي احسن الحالات على الحياد، ابان الصراع بين الهوية الوطنية الفلسطينية وبين محاولة نفي هذه الهوية، حتى وصل ذلك في مرحلة من المراحل الى تناقض حاد ومعارك ادت الى اخراج الثورة الفلسطينية من الاردن، وتعزيز النخب الفلسطينية الاصل المتخالفة مع المؤيدة للنظام.

(٥٣) بيان عدوان، اشكالية الهوية بين المركز والاطراف – مقدمة لدراسة عن الشتات الفلسطيني، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) على الموقع: www.m.ahewar.org

(٥٤) موسى ابو مرزوق، القضية الفلسطينية: الواقع وافاق المستقبل، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع٣١١، ٢٠٠٥، ص١٠٦-١٠٧.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٥٦) المصدر نفسه، ص١٠٥.

(٥٧) عبد الفتاح القلقيلي واحمد ابو غوشة، مصدر سابق.